(٢٤)

"تسليم واستسلام"

كلهم كانوا دائمًا على قناعة بأنهم على صواب، ولم يتسلل الشك إلى قلب أو عقل أي منهم فى يومٍ من الأيام. كانوا يعلنون فى ثباتٍ وتباهٍ وعُجبٍ ما هم عليه من نعمة الإيمان الصحيح، ومن ثم اتباع العقيدة السليمة. وكان هو الوحيد بينهم الذى ينتابه من حين لآخر الشعور بالغربة والإحساس بالاغتراب.

كان هناك باعثٌ خفيٌ يقبع فى داخله ويحثه دومًا على البحث والتقصى واستقراء مسلمات تم تلقينها له على أنها حقائق بديهية لا تحتاج لإعمال العقل لمراجعتها أو مجرد التفكير فيها. كان فى قلبه إيمان دفين بأنه مخلوق أبدع خلقه خالق واحد. وكانت تتصارع فى عقله عدة أسئلة ما تنفك عن التوقف على الإلحاح عليه حتى تهاجمه من جديد مرة بعد أخرى منتظرة إياه أن يقدم لها إجابات مقنعة.

هل حقًا الإيمان بأية عقيدة أيًا ما كان مُسماها واسمها هو نهاية الهداية أم بدايتها؟ وذلك الصراط المستقيم، الذى هو قطعًا واحدٌ فى عدده، ومن ثم لا يكون سواه إلا خطوطًا ملتوية ومتعرجة، هل يمكن الوصول إليه من خلال طريق واحد فقط؟ أم أن هناك طرقًا كثيرة تقود إلى هذا الصراط الذى لا اعوجاج فيه؟

ولماذا يظن الجميع أن فهمهم هم للحق هو الحق بعينه، ولا فهم سواه؟ ولماذا لا يسمحون جميعًا لأنفسهم باختبار هذا الفهم للتأكد من مدى مطابقته للتفكير العلمى السليم والمنطق العقلى الممنهج؟

ولماذا يكتفون فى عقيدتهم بما تمليه عليهم مشاعرهم القلبية المتقلبة وفقًا لدوافع الأهواء المتنازعة؟ ولماذا يصرون على أن يكونوا مستسلمين ومُسَلمين لما توارثوه عن آبائهم الذين بدورهم لم يفكروا بل قلَّدوا أيضًا من سبقوهم؟!